الإمام يحيى بن معين
نبوغه العلمي وتميزه النقدي

د٠ عبدالله محمد سعد العجمي (*)

المقدمة :

إن الحمد لله، نحمده ونستعين به، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.. وبعد:

فهذا بحث مختصر أتناول فيه سيرة الإمام يحيى بن معين رحمه الله، موضحا فيه شيئا من أسباب نبوغه العلمي وتميزه النقدي، وقد جعلت البحث في ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: أذكر فيه ترجمة مختصرة ليحيى بن معين، وفيه عشرة مطالب.

والمبحث الثاني: أذكر فيه أسباب النبوغ العلمي عند يحيى بن معين، وفيه عشرة مطالب.

وأما المبحث الثالث: فأذكر فيه أسباب نبوغ منهج النقد عند يحيى بن معين، وفيه عشرة مطالب.

ويهدف هذا البحث إلى الوقوف على أهم أسباب النبوغ العلمي والتميز النقدي لهذا الإمام الفذ، والذي جعله مقدما على أقرانه من المحدثين، وبجمعنا لهذه الأسباب وتحليلها، يمكن لنا الوصول إلى معرفة الأمور التي تميز قوة المحدث، والتي تبرز أهمية أحكامه في الحديث ورجاله، فنخرج بأمور نعرف من خلالها أن من أخذ بها من المحدثين، فهو متميز في علمه ومنهجه النقدي، بخلاف من

(*) قسم التفسير والحديث – كلية الشريعة والدراسات الإسلامية – جامعة الكويت.

أهملها ولم يلتفت إليها أو قصر في أخذها، فلا شك أنه بمرتبة أدنى ممن أخذ بها.

وبدراسة أسباب نبوغ العلماء علميا، والتعرف على أسباب تميز مناهجهم النقدية، يمكن لنا أن نجمع أصولا عامة تكون لنا بها دلالات على التقدم العلمي والتميز النقدي في الحديث. وأسأل الله التوفيق والسداد في جمعها وبيانها.

* *

المبحث الأول

ترجمة مختصرة ليحيى بن معين

وفيه عشرة مطالب :

المطلب الأول: اسمه ونسبه:

هو الإمام الحافظ الجهبذ، شيخ المحدثين، أبو زكريا يحيى بن معين بن عون بن زياد بن بسطام.

قيل: اسم جده غياث بن زياد بن عون بن بسطام الغطفاني ثم المري، مولاهم البغدادي، أحد الأعلام.(١)

قال العباس بن محمد الدوري: سمعت يحيى بن معين يقول بالبصرة وسأله عباس العنبري ونحن عند عباس النرسي نسمع منه فقال له: يا أبا زكريا من أي العرب أنت؟ قال: لست من العرب ولكني مولى للعرب .(٢)

قال يحيى بن معين: أنا مولى للجنيد بن عبد الرحمن المري.(٣)

المطلب الثاني : مولده:

ولد سنة ثمان وخمسين ومئة، قال يحيى بن معين: ولدت في خلافة أبى جعفر سنة ثمان وخمسين ومائة في آخرها.(٤)

المطلب الثالث: بلده:

قال أبو العباس المروزي: كان يحيى من قرية نحو الأنبار يقال لها نقيا.(٥)

---

(١) سير أعلام النبلاء (١١ / ٧١).
(٢) تاريخ بغداد (١٤ / ١٨٣).
(٣) السابق (١٤ / ١٨٣).
(٤) السابق (١٤ / ١٨٢).
(٥) السابق (١٤ / ١٨٢).

وقال أحمد بن عبد الله العدلى : يحيى بن معين من أهل الأنبار، على اثني عشر فرسخا من بغداد، كان أبوه كاتبا لعبد الله بن مالك.[١]

المطلب الرابع : شيوخه:

سمع يحيى من شيوخ كثر، ومن أشهرهم : ابن المبارك، وسفيان بن عيينة، وغندر، وأبي معاوية، وعبد الرزاق، ووكيع، ويحيى القطان، وابن مهدي، وعفان، وخلق كثير بالعراق والحجاز والجزيرة والشام ومصر. [٢]

المطلب الخامس : تلاميذه:

أخذ عن يحيى العلم كثير من الطلاب، ومن أشهرهم: أحمد بن حنبل، ومحمد بن سعد، وأبو خيثمة، وهناد بن السري، وعدة من أقرانه، والبخاري، ومسلم، وأبو داود، وعباس الدوري، وعثمان بن سعيد الدارمي، وأبو زرعة، وأبو حاتم، وإسحاق الكوسج وخلائق.[٣]

المطلب السادس : مكانته وثناء الأئمة عليه:

قال النسائي: أبو زكريا يحيى بن معين الثقة المأمون أحد الأئمة في الحديث.[٤]

وقال الخطيب: وكان إماما ربانيا عالما حافظا ثبتا متقنا.[٥]

وقال العجلي: ما خلق الله تعالى أحدا كان أعرف بالحديث من يحيى بن معين، ولقد كان يجتمع مع أحمد وابن المديني ونظرائهم، فكان هو الذي ينتخب

---

(١) السابق (١٤ / ١٨٢).
(٢) سير أعلام النبلاء (١١ / ٨٠).
(٣) السير (١١ / ٨١).
(٤) تاريخ بغداد (١٤ / ١٨٩).
(٥) السابق (١٤ / ١٨٢).

لهم الأحاديث لا يتقدمه منهم أحد، ولقد كان يؤتى بالأحاديث قد خلطت وتلبست فيقول: هذا الحديث كذا، وهذا كذا، فيكون كما قال.[١]

المطلب السابع: رحلاته:

قال الخليلي في ابن معين: ارتحل إلى بلاد الحجاز وأقام بها وأتى على حديثهم، ثم دخل اليمن فأتى على حديثهم، ثم رجع إلى البصرة والكوفة فأقام عند أئمة ذلك الوقت، ثم خرج إلى الشام ومصر، ثم قال: لو لم نكتب الحديث من مئة وجه ما وقعنا على الصواب.[٢]

المطلب الثامن: عقيدته:

كانت عقيدة ابن معين موافقة لعقيدة أهل السنة والجماعة، عقيدة أصحاب الحديث في ذلك الزمان التي يوافقون فيها من سلفهم من الصحابة وأهل الأثر، قال الدوري: سمعت يحيى بن معين يقول: القرآن كلام الله وليس بمخلوق. سمعت هذا منه مرارا[٣] . قال: وسمعت يحيى يقول: الإيمان يزيد وينقص، وهو قول وعمل.[٤]

المطلب التاسع: عبادته رقته ودعابته:

كانت العبادة والخلوة من أحب الأمور إلى يحيى، ولذلك كان يذكرها عند قرب موته، وقد قيل له في مرض موته: ما تشتهي؟ قال : بيت خال وإسناد عال.[٥]

وكان ابن معين رقيق الطبع تنزل دمعته عند الوعظ والتذكير، قال الخطيب: أخبرنا محمد بن أحمد بن رزق قال أنبأنا إسماعيل بن علي الخطبي قال نبأنا

---

(١) تهذيب التهذيب (١١ / ٢٨٨).
(٢) الإرشاد للخليلي (٢ / ٥٩٥).
(٣) تاريخ ابن معين (٣ / ٣٣٤).
(٤) السابق (٣ / ٤٦٣).
(٥) المقدمة لابن الصلاح (٢٥٦).

أبو علي الحسين بن فهم قال حدثني يحيى بن معين قال نبأنا الوركاني محمد بن جعفر قال سمعت فضيلا يقول: ينادي مناد يوم القيامة أين الذين أكلت عيالاتهم أماناتهم؟ قال أبو علي: ورأيت يحيى يبكى عند هذا.[١]

كما أنه كان يحب المزح والدعابة، قال جعفر الطيالسي: سمعت يحيى بن معين يقول: رأيت جارية بيعت بمصر بألف دينار، لم أر وجها أحسن من وجهها صلى الله عليها، فقلت: يا أبا زكريا مثلك يقول هذا؟ قال: وبه بأس؟ صلى الله عليها وعلى كل مليح. [٢]

المطلب العاشر : وفاته:

قال أحمد بن زهير: ولد يحيى بن معين سنة ثمان وخمسين ومائة، ومات بمدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم لسبع ليال بقين من ذي القعدة، سنة ثلاث وثلاثين ومائتين، وقد استوفى خمسا وسبعين سنة ودخل في الست، ودفن بالبقيع وصلى عليه صاحب الشرطة. وذكر الخطيب أن هذا هو الصحيح في سنه.[٣]

قال عباس الدوري: مات يحيى بن معين بالمدينة أيام الحج قبل أن يحج وهو يريد مكة سنة ثلاث وثلاثين ومائتين، وصلى عليه والي المدينة وكلم الحزامي الوالي فأخرجوا له سرير النبي صلى الله عليه وسلم، فحمل عليه فصلى عليه الوالي ثم صلى عليه مرارا، ومات يحيى وسنه سبع وسبعون سنة إلا أياما.[٤]

قال أحمد بن محمد بن غالب: لما مات يحيى بن معين نادى إبراهيم بن المنذر الحزامي: من أراد أن يشهد جنازة المأمون على حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فليشهد.[٥]

---

(١) تاريخ بغداد (٢ / ١١٦).
(٢) تاريخ دمشق (٦٥ / ٣٣).
(٣) تاريخ بغداد (١٤ / ١٩١).
(٤) السابق (١٤ / ١٩٠).
(٥) تاريخ بغداد (١٤ / ١٩٠).

قال جعفر بن محمد بن كزال: كنت مع يحيى بن معين بالمدينة فمرض مرضه الذي مات فيه، وتوفى بالمدينة فحمل على سرير رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجل ينادى بين يديه: هذا الذي كان ينفي الكذب عن حديث رسول الله صلى الله عليه و سلم.(١)

قال محمد بن جرير الطبري: خرج ابن معين حاجا وكان أكولا، فحدثني أبو العباس أحمد بن شاه أنه كان في رفقته، فلما قدموا فيد، أهدي إلى يحيى فالوذج لم ينضج، فقلنا له: يا أبا زكريا، لا تأكله، فإنا نخاف عليك، فلم يعبأ بكلامنا وأكله، فما استقر في معدته حتى شكا وجع بطنه وانسهل، إلى أن وصلنا إلى المدينة ولا نهوض به، فتفاوضنا في أمره، ولم يكن لنا سبيل إلى المقام عليه لأجل الحج، ولم ندر ما نعمل في أمره، فعزم بعضنا على القيام عليه وترك الحج، وبتنا فلم يصبح حتى وصى ومات، فغسلناه ودفناه.(٢)

ومما ذكر في رثائه رحمه الله :

قال عبد الله بن أحمد: قال بعض المحدثين في يحيى بن معين:

ذهب العليم بعيب كل محدث ... وبكل مختلف من الإسناد

وبكل وهم في الحديث ومشكل ... يعيى به علماء كل بلاد (٣)

* *

(١) السابق (١٤ / ١٩٠).

(٢) السير (١١ / ٩٠).

(٣) تاريخ بغداد (١٤ / ١٩٠).

المبحث الثاني
أسباب النبوغ العلمي
عند يحيى بن معين

وفيه عشرة مطالب:

المطلب الأول: قوة الحفظ.

من أهم أسباب نبوغ يحيى بن معين العلمي قوة حافظته، فقد كان أعجوبة في الحفظ، مما جعله مقدما عند أهل زمانه، ولا ريب أن قوة الحفظ أحد الأسباب المهمة في النبوغ العلمي.

قال على بن المديني: ما رأيت يحيى بن معين استفهم حديثا قط ولا رده.(١)

وهذا الحفظ القوي الذي تميز به ابن معين وعرفه به، إنما اكتسبه من شيوخه الذين أخذ منهم وتأثر بهم، فكم من تلميذ نبغ بسبب نبوغ شيخه الذي كان يقتدي به، قال خلف بن سالم: صرت أنا وأحمد وإسحاق وابن معين إلى علي بن الجعد، فإخرج الينا كتبه وذهب، ظننا أنه يتخذ لنا طعاما، فلم نجد في كتبه إلا خطأ واحدا، فلما فرغنا من الطعام قال: هاتوا، فحدث بكل شيء كتبناه من حفظه.(٢)

ومن شدة حفظه للحديث وضبطه للروايات، كان ابن معين إذا حدث بحديث مغلوط، شدد العبارة على الراوي المخطئ، وربما حلف على وقوع الخطأ من الراوي، أو ذكر النذور عليه إن كان ما ذكره ذلك الراوي صحيحا، وما كان مثل تلك التصرفات أن تصدر من ابن معين لولا شدة حفظه وقوة ضبطه، مع غيرته على السنة النبوية أن يدخل فيها ما ليس منها.قَالَ عبدُ الله بنُ أحمد بن حنبل: سمعتُ رَجُلاً يقولُ ليحيى: تحفظُ عن عبدِ الرزاق، عن مَعْمَر، عن أبي إسحَاق،

---

(١) تاريخ بغداد (١٤ / ١٨٦).

(٢) تذكرة الحفاظ للذهبي (١ / ٢٩٢).

عن عَاصِمِ بنِ ضَمْرَةَ، عن علي عن النبي صلى الله عليه وسلم: "أنه مَسَحَ على الجبائر"؟

فَقَالَ: باطلٌ، ما حدّثَ به مَعْمَر قَط. وسمعتُ يحيى يقول: عَليهِ مائةُ بَدَنة مُقلدة مُجَللة إنْ كَانَ مَعْمَر حَدّثَ بهذا قَط، هذا باطل، ولو حدّثَ بهذا عبدُ الرزاق كَانَ حَلالَ الدّم، مَنْ حدّثَ بهذا عن عبد الرزاق؟ قالوا له: فلانٌ. فَقَالَ: لا واللهِ ما حدّثَ به مَعْمَر، وعليه حَجةٌ من هاهنا – يعني المسجد – إلى مكة إن كان مَعْمَر حدّثَ بهذا.(١)

المطلب الثاني : كثرة مذاكرته لمحفوظاته.

فالحفظ للعلم إن لم تعقبه مذاكرات له مع الحفاظ فإنه يضمحل ويذهب، ولذلك كان يحيى كثير المذاكرة للحديث، يدل على ذلك شهادة من ذاكره بمعرفته حديثه معرفة تامة يستدل بها على موضع مروياته متى شاء.

قال علي بن المديني: كنت إذا قدمت إلى بغداد منذ أربعين سنة كان الذي يذاكرني أحمد بن حنبل، فربما اختلفنا في الشيء فنسأل أبا زكريا يحيى بن معين فيقوم فيخرجه ما كان أعرفه بموضع حديثه.(٢)

قال العباس الدوري: رأيت أحمد بن حنبل في مجلس روح بن عبادة سنة خمس ومائتين يسأل يحيى بن معين عن أشياء يقول له: يا أبا زكريا كيف حديث كذا؟ وكيف حديث كذا؟ يريد أحمد أن يستثبته في أحاديث قد سمعوها، فما قال يحيى كتبه أحمد، وقلما سمعت أحمد بن حنبل يسمى يحيى بن معين باسمه إنما كان يقول: قال أبو زكريا قاله أبو زكريا.(٣)

---

(١) العلل ومعرفة الرجال لأحمد بن حنبل (٣ / ١٦).

(٢) تاريخ بغداد (١٤ / ١٨٦).

(٣) تاريخ بغداد (١٤ / ١٨٥).

المطلب الثالث : التخصص العلمي.

رغم أن العلماء المتقدمين جمعوا غالب الفنون، فإنهم مع سعة جمعهم كان الواحد منهم يتميز على غيره بأمور لا تجدها عند غيره، وهذا التخصص في هذه الجوانب العلمية يجعل العالم مقدما على غيره فيها، بل يشهد له أهل عصره بتفرده في هذا التميز، وحافظنا يحيى بن معين كان له نصيب من ذلك، فقد كان متخصصا في حفظ الأسانيد ومعرفة الرجال، لا يكاد يقدم عليه أحد في ذلك، وهذا الأمر أحد أسباب نبوغه العلمي على غيره من علماء زمانه.

قال عمرو الناقد: ما كان في أصحابنا أحفظ للأبواب من أحمد بن حنبل ولا أسرد للحديث من ابن الشاذكوني ولا أعلم بالإسناد من يحيى ما قدر أحد يقلب عليه إسنادا قط.(١)

المطلب الرابع : كثرة إنفاقه على الحديث.

كان يحيى ينفق إنفاقا عظيما على تعلمه الحديث حتى أفقره كثرة الإنفاق، وهذا يدل على عظيم حبه لعلم الحديث، فقد كان متعطشا لنيله والاستزادة منه، الأمر الذي جعله نابغا على غيره في الحديث.

ذكر ابن عم ليحيى بن معين قال: كان معين على خراج الري، فمات فخلف لابنه يحيى ألف ألف درهم وخمسين ألف درهم، فأنفقه كله على الحديث حتى لم يبق له نعل يلبسه.(٢)

المطلب الخامس : كثرة كتابة الحديث.

فمع قوة الحافظة التي وهبها الله ليحيى بن معين، إلا أنه كان كثير الكتابة حتى أصبح مضرب المثل في كثرة الكتابة، فقد كان يكتب كل شيء حتى عن الكذابين، فربما كتب الحديث الواحد أكثر من خمسين مرة، وهذا ساعده كثيرا على

---

(١) تاريخ دمشق (٦٥ / ٢٠).

(٢) تاريخ بغداد (١٤ / ١٨٣).

حفظ العلم، فهو يكتب جل علومه التي أخذها عن شيوخه ويكثر من تكرار كتابتها، حتى إذا نسي شيئا منها أو شك رجع إلى كتبه متى شاء، فكانت علومه مكتوبة عنده ومحفوظة، وكان أكثر ما يحب الجلوس في بيت خال يكتب فيه.

قال علي بن المديني: لا نعلم أحداً من لدن آدم كتب من الحديث ما كتب يحيى بن معين.(١)

وحكى المزي في التهذيب عن مجاهد بن موسى قال: كان يحيى بن معين يكتب الحديث نيفاً وخمسين مرة. (٢)

وكان يحرص على كتابة كل حديث لا يعرفه، حتى يعرف صواب الراوي فيه من غلطه، قال ابن معين : دفع إلى ابن وهب كتابين عن معاوية بن صالح خمسمائة أو ستمائة حديث، فانتقيت منها شرارها ورددت عليه الكتابين. قلت لأبي زكريا: لم أخذت شرارها؟ قد كنت سمعتها من إنسان قبله، قال: لا، ولكن لم يكن لي بها يومئذ معرفة.(٣)

وكان يحب المكث على كتب كثيرة لشيخ يكتب عنه كما يريد، قال ابن معين: أشتهي أن أقع على شيخ عنده بيت ملئ كتبا أكتب عنه وحدي.(٤)

وقال يحيى بن معين: صاحب الانتخاب يندم، وصاحب النسخ لا يندم.(٥)

وقال محمد بن سعد: يحيى بن معين أكثر من كتابة الحديث، وعرف به، وكان لا يكاد يحدث.(٦)

---

(١) تاريخ بغداد (١٨٧/١٤).
(٢) تهذيب الكمال (٣١ / ٥٤٨).
(٣) الجامع لاخلاق الراوي رقم (١٧٤٢).
(٤) الكامل لابن عدي (١ / ١٢٤).
(٥) الكامل لابن عدي (١ / ١٢٤).
(٦) سير أعلام النبلاء (١١ / ٩٢).

ومما يوضح حرص ابن معين على كتابة الحديث عن أكثر من شيخ ما ذكره عن لقائه بهشام بن يوسف قال يحيى بن معين: لما فارقت عبد الرزاق أتيت هشام بن يوسف وكان على قضائها، وكان رجلا له نبل يلبس الثياب فقال: من أنت ؟ قلت: أنا يحيى بن معين، قال: سمعت أنك أتيت أخانا عبدالرزاق فما تصنع عند ذاك ؟ قلت: الحديث يكتب عن جماعة، فقال: سماعنا وسماع عبدالرزاق قريب من السواء، فأردته على الحديث فأبى، وكان يصلي بهم في المسجد الصلوات كلها، فجئت إلى مسجده فقعدت فيه، فكنت فيه ثلاثين يوما لا أسأله شيئا إلا أنه إذا دخل وخرج سلمت عليه، فلما كان بعد ثلاثين يوما بعث إليَّ فقال لي: يا هذا إنما منعتك لأنظر أأنت من أصحاب الحديث أو لست من أصحاب الحديث ؟ قال يحيى: فقلت : والله أصلحك الله هذا موضعي إلى قابل أو تحدثني أو لا يبقى معي شيء أتبلغ به، فقال: يا جارية هاتي الزبل، فكانت تخرجها إليَّ فأقعد في المسجد فاكتب منها حاجتي ثم يقرأ.(١)

وقال مبينا أهمية الكتابة من عدة وجوه: لو لم نكتب الحديث من ثلاثين وجها ما عقلناه.(٢)

وقال محمد بن نصر الطبري: دخلت على يحيى بن معين فعددت عنده كذا وكذا سفطا يعني دفاتر وسمعته يقول: قد كتبت بيدي ألف ألف حديث. وسمعته يقول: كل حديث لا يوجد ها هنا وأشار بيده إلى الأسفاط فهو كذب(٣). وهذا يبين لنا كثرة ما كتبت يده رحمه الله.

---

(١) الجرح والتعديل (١ / ٣١٥).

(٢) المجروحين لابن حبان (١ / ٣٣).

(٣) تاريخ دمشق (٦٥ / ١٢).

وقال مبينا أهمية كتابة الكذب عن الكذابين: كتبنا عن الكذابين وسجرنا به التنور وأخرجنا به خبزا نضيجا.(١)

وكثرة الكتابة أنتجت عنده يحيى ملكة وخبرة بأحاديث البلدان، ولذلك كان يصف بعضها بوصف دقيق، كوصفه كثرة انتشار الكذب في الحديث ببغداد، حيث قال يحيي بن معين: ما رأيت الكذب أنفق منه ببغداد.(٢)

قال الخطيب معلقا على قول ابن معين: إنما قال يحيي هذا القول تنبيها على أن البغداديين أرغب الناس في طلب الحديث وأشدهم حرصا عليه وأكثرهم كتبا له، وليس يعيب طالب الحديث أن يكتب عن الضعفاء والمطعون فيهم، فإن الحفاظ ما زالوا يكتبون الروايات الضعيفة والأحاديث المقلوبة والأسانيد المركبة لينقروا عن واضعيها ويبينوا حال من أخطا فيها، وقد حفظ عن يحيي بن معين كلام في نحو هذا المعني من ذلك ما حدثني به الحسن بن أبي طالب قال أنبأنا محمد بن عبد الله بن المطلب الشيباني قال حدثني أبو ذر محمد بن يوسف بن عبيد الفقيه بورثان قال حدثني العباس بن محمد بن حاتم قال قال يحيي بن معين: إذا كتبت فقمش وإذا حدثت ففتش.(٣)

بل كان المعتني بالحديث في ذلك الزمن لا يعرف بذلك حتى يكتب عن الكذابين، يوضح ذلك قول يحيى بن معين: وأيّ صاحب حديث لا يكتب عن كذاب ألف حديث؟!.(٤)

وفسر يحيى أهمية كثرة الكتابة عن الكذابين لأحمد بن حنبل لما سأله عن سبب فعله ذلك، بما ذكره أبو بكر الأثرم قال: رأى أحمد بن حنبل يحيى بن معين بصنعاء في زاوية، وهو يكتب صحيفة معمر عن أبان عن أنس فإذا طلع عليه

---

(١) تاريخ بغداد (١٤ / ١٨٤).
(٢) تاريخ بغداد (١/ ٦٧).
(٣) السابق (١/ ٦٧).
(٤) السابق (١/ ٦٧).

إنسان كتمه، فقال له أحمد بن حنبل: تكتب صحيفة معمر عن أبان عن أنس وتعلم أنها موضوعة؟! فلو قال لك قائل: إنك تتكلم في أبان ثم تكتب حديثه على الوجه؟ فقال: رحمك الله يا أبا عبدالله اكتب هذه الصحيفة عن عبد الرزاق عن معمر على الوجه فأحفظها كلها وأعلم أنها موضوعة، حتى لا يجيء بعده إنسان فيجعل بدل أبان ثابتا ويرويها عن معمر عن ثابت عن أنس بن مالك فأقول له: كذبت، إنما هي عن معمر عن أبان لا عن ثابت.(١)

ومما يوضح لنا كثرة كتابة الحديث عند يحيى ما ذكره أحمد بن عقبة وغيره حيث قال: سألت يحيى بن معين كم كتبت من الحديث يا أبا زكريا؟ قال: كتبت بيدي هذه ستمائة ألف حديث. قال أحمد: وإني أظن أن المحدثين قد كتبوا له بأيديهم ستمائة ألف.(٢)

وقال عبدالله : خلف يحيى من الكتب مائة قمطرا وأربعة عشر قمطرا وأربعة حباب شرابية مملوءة كتبا.(٣)

وقال صالح بن محمد: ذكر لي أن يحيى بن معين خلف من الكتب لما مات ثلاثين قمطرا وعشرين حبا، وطلب يحيى بن أكثم كتبه بمائتي دينار فلم يدع أبو خيثمة أن تباع.(٤)

وقال ابن أبي حاتم: سمعت أبي يقول: قدمنا البصرة وكان قدم يحيى بن معين قبل قدومنا بسنة فلزم أبا سلمة موسى بن إسماعيل فكتب عنه قريباً من ثلاثين أو أربعين ألف حديث. (٥)

---

(١) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع (رقم ١٥٨٠).

(٢) تاريخ بغداد (١٤/١٨٧).

(٣) تاريخ بغداد (١٤/١٨٧).

(٤) تاريخ بغداد (١٤/١٨٧).

(٥) الجرح والتعديل (١/٣١٥).

ومع الكم الهائل الذي كتبه ابن معين من الأحاديث إلا أنه لم يحدث إلا بالقليل.

قال جعفر بن أبي عثمان: كنا عند يحيى بن معين فجاءه رجل مستعجل فقال: يا أبا زكريا حدثني بشيء أذكرك به، فالتفت إليه يحيى فقال: اذكرني أنك سألتني أن أحدثك فلم أفعل.(١)

المطلب السادس : كثرة أخذه عن الشيوخ.

من أسباب نبوغ ابن معين في الحديث، كثرة شيوخه في أخذه للحديث، فلا تقر عينه إلا بسماع الحديث من عدة شيوخ ولو كثروا، وهذا الأمر جعله مقدما على غيره في بيان الخطأ من الصواب في الحديث، بل وتحديد مكان الخطأ هل هو من شيخ ابن معين أو من شيخ شيخه، الأمر الذي جعل من هذه المنهجية مدرسة يتعرف بها المحدثون على أخطاء الشيوخ.

قال أبو بكر محمد بن إبراهيم بن حماد: رحل معنا يحيى بن معين إلى أبي سلمة موسى بن إسماعيل التبوذكي وسمع جامع حماد بن سلمة وقد كان سمع من سبعة عشر نفسا.

قال أبو محمد ابن أبي حاتم: أراد بذلك زيادة بعضهم على بعض لأن حماد ابن سلمة كان حدثهم من حفظه فكان يذكر الشيء بعد الشيء فيحدثهم به، فقل من سمع من حماد إلا وقع عنده ما ليس عند غيره.(٢)

وقال ابن حبان: سمعت محمد بن إبراهيم بن أبى شيخ الملطى يقول: جاء يحيى بن معين إلى عفان ليسمع منه كتب حماد بن سلمة، فقال له: ما سمعتها من أحد ؟ قال: نعم حدثنى سبعة عشر نفسا عن حماد بن سلمة، فقال. والله لا حدثتك.

---

(١) تاريخ دمشق (٦٥ / ٣٠).

(٢) الجرح والتعديل (١ / ٣١٥).

فقال: إنما هو وهم، وانحدر إلى البصرة واسمع من التبوذكى فقال: شأنك، فانحدر إلى البصرة، وجاء إلى موسى بن إسماعيل، فقال له موسى: لم تسمع هذه الكتب عن أحد ؟ قال سمعتها على الوجه من سبعة عشر نفسا وأنت الثامن عشر.

فقال: وماذا تصنع بهذا ؟ فقال: إن حماد بن سلمة كان يخطئ، فأردت أن أميز خطأه من خطأ غيره، فإذا رأيت أصحابه قد اجتمعوا على شيء علمت أن الخطأ من حماد نفسه، وإذا اجتمعوا على شيء عنه وقال واحد منهم بخلافهم، علمت أن الخطأ منه لا من حماد، فأميز بين ما أخطأ هو بنفسه وبين ما أخطئ عليه.(١)

وكثرة أخذه عن الشيوخ أفادته كثيرا في التمييز بين الرواة، ومعرفة المقدم منهم عند الاختلاف على الشيخ، قال أبو زرعة: فذاكرت يحيى بن معين بالعراق، بعض ما يختلف فيه من حديث الأوزاعي فقال: هو عندي حديث، حتى يجيء مثل هقل، فإني رأيت أبا مسهر يقدمه على أصحاب الأوزاعي.(٢)

المطلب السابع : صبره على طلب الحديث.

وهذا أمر معلوم وظاهر في سيرة ابن معين، فقد كان صابرا في أخذه للحديث، صابرا على كثرة كتابته، صابرا على الفقر، كل ذلك في سبيل تحصيل العلم، فكانت له الإمامة في ذلك والتميز والنبوغ. يوضح ذلك أنه كان يقصد هشام بن يوسف قاضي صنعاء، وهو ثقة متفق عليه روى عنه الأئمة، قال ابن معين: قصدته فقال لي: يكفيك عبد الرزاق. فعدت الثاني والثالث فقال: أو تعود؟ فقلت:

---

(١) المجروحين (١ / ٣٢).

(٢) تاريخ أبي زرعة الدمشقي (ص ٣٨٣).

والله لو احتجت أن أقيم دهرا ها هنا ووجدت إلى الخير سبيلا ما فارقتك، فقال: يا بني إنما جربتك وحرصك على العلم، فاخرج إلي كتبه وأملى علي من حفظه[1].

المطلب الثامن : سعة العلم في الحديث.

لقد رزق الله جل وعلا يحيى بن معين علما واسعا في الحديث، فقد كان مرجعا في معرفة الأحاديث والرجال، حتى شهد له العلماء بأن الحديث الذي لا يعرفه يحيى فليس بحديث، وهذا النبوغ العلمي إنما جاء بعد سنين طويلة في حفظ الحديث وكتابته، والصبر على الشيوخ في الأخذ منهم، مع كثرة الإنفاق على العلم في الرحلات وغير ذلك، الأمر الذي كون عند ابن معين ملكة علمية قوية في نقد الأحاديث والرجال.

قال أحمد بن حنبل: كل حديث لا يعرفه يحيى بن معين فليس هو بحديث.[2]

وقال ابن حبان في ترجمته ليحيى: وكان من أهل الدين والفضل، وممن رفض الدنيا في جمع السنن، وكثرت عنايته بها وجمعه وحفظه إياها حتى صار علماً يقتدي به في الأخبار، وإماماً يرجع إليه في الآثار.[3]

قال عبد الخالق بن منصور: قلت لابن الرومي سمعت أبا سعيد الحداد يقول: لولا يحيى بن معين ما كتبنا الحديث. فقال لي ابن الرومي: وما تعجب؟! فو الله لقد نفعنا الله به، ولقد كان المحدث يحدثنا لكرامته ما لم يكن نحدث به أنفسنا. قلت لابن الرومي: فإن أبا سعيد الحداد حدثني قال: إنا لنذهب إلى المحدث فننظر في كتبه فلا نرى فيها إلا كل حديث صحيح، حتى يجيء أبو زكريا فأول شيء يقع في يده يقع الخطأ، ولولا أنه عرفناه لم نعرفه. فقال لي ابن

---

(١) الإرشاد للخليلي (٢٧٨/١).

(٢) تاريخ بغداد (١٤ / ١٨٥).

(٣) الثقات (٢٦٣/٩).

الرومي: وما تعجب؟! لقد كنا في مجلس لبعض أصحابنا فقلت له: يا أبا زكريا نفيدك حديثا من أحسن حديث يكون، وفينا يومئذ على وأحمد وقد سمعوه. فقال: وما هو؟ قلنا: حديث كذا وكذا. فقال: هذا غلط فكان كما قال. قال: وسمعت ابن الرومي يقول: كنت عند أحمد فجاءه رجل فقال: يا أبا عبد الله انظر في هذه الأحاديث فإن فيها خطأ، قال: عليك بأبي زكريا فإنه يعرف الخطأ وقال عبد الخالق قلت لابن الرومي: حدثني أبو عمرو أنه سمع أحمد بن حنبل يقول: السماع مع يحيى بن معين شفاء لما في الصدور. فقال لي: وما تعجب من هذا؟! كنت أختلف أنا وأحمد إلى يعقوب بن إبراهيم في المغازي ويحيى بالبصرة، فقال أحمد: ليت أن يحيى ها هنا قلت له: وما تصنع به؟ قال: يعرف الخطأ.(١)

قال على بن سهل: سمعت أحمد بن حنبل في دهليز عفان يقول لعبد الله بن الرومي: ليت أن أبا زكريا قد قدم يعنى بن معين، فقال له اليمامي: ما تصنع بقدومه؟ يعيد علينا ما قد سمعنا! فقال له أحمد: اسكت هو يعرف خطأ الحديث.(٢)

قال أبو مقاتل سليمان بن عبد الله: سمعت أحمد بن حنبل يقول: ها هنا رجل خلقه الله لهذا الشأن يظهر كذب الكذابين يعنى يحيى بن معين.(٣)

وهذا العلم الواسع الذي وهبه الله لابن معين في الحديث، كان من أهم أسباب تحصيله أنه كان يفيد به أهله، فبارك الله له في ذلك العلم، قال جعفر بن عثمان الطيالسي: سمعت يحيى بن معين يقول: أول بركة الحديث إفادته.(٤)

---

(١) تاريخ بغداد (١٤ / ١٨٤).

(٢) تاريخ بغداد (١٤ / ١٨٥).

(٣) تاريخ بغداد (١٤ / ١٨٥).

(٤) تهذيب الكمال للمزي (٣١/٥٥٩).

المطلب التاسع : قوة شخصيته.

كان ابن معين ذا شخصية قوية فذة، وكانت حاله النفسية راسخة، فلا يقبل الضعف ولا الهوان، بل كان قويا في تعامله مع من حوله، ولذلك كانت له مهابة عند شيوخه وطلابه، وكان لا يعجبه شخصية المحدث الضعيفة، بل كان يذم ذلك وينصح بالقوة في التحمل والأداء.

قال يحيى بن معين: ويل للمحدث إذا استضعفه أصحاب الحديث قلت: يعملون به ماذا؟ قال: إن كان كودنا سرقوا كتبه، وأفسدوا حديثه وحبسوه وهو حاقن حتى يأخذه الحصر فيقتلوه شر قتلة، وإن كان ذكرا استضعفهم وكانوا بين أمره ونهيه، قلت: وكيف يكون ذكرا؟ قال: يعرف ما يخرج من رأسه.(١)

المطلب العاشر : شهادة أهل العلم له.

بناء على المطالب السابقة وغيرها تكونت عند ابن معين المعرفة العلمية التامة بأحوال الرواة حتى أصبح إماما في الجرح والتعديل ومن كبار الحفاظ للحديث، وقد شهد العلماء له بالتقدم والإمامة في الحديث وعلومه، وما كان له أن يتميز ويبرز لولا شهادة أهل التخصص له بذلك.

قال علي بن المديني: انتهى العلم بالبصرة إلى يحيى بن أبي كثير وقتادة، وعلم الكوفة إلى أبى إسحاق والأعمش، وانتهى علم الحجاز إلى ابن أبى شهاب وعمرو بن دينار، وصار علم هؤلاء الستة إلى اثنى عشر رجلا، منهم بالبصرة سعيد بن أبى عروبة وشعبة ومعمر وحماد بن سلمة وأبو عوانة، ومن أهل الكوفة سفيان الثوري وسفيان بن عيينة، ومن أهل الحجاز إلى مالك بن أنس، ومن أهل الشام إلى الأوزاعي، وانتهى علم هؤلاء إلى محمد بن إسحاق وهشام ويحيى بن

---

(١) تاريخ دمشق (٦٥ / ٢٩).

سعيد بن أبى زائدة ووكيع وابن المبارك –وهو أوسع هؤلاء علما–وابن مهدى وابن آدم، فصار علم هؤلاء جميعا إلى يحيى بن معين. (١)

وقال هلال بن العلاء: منّ الله على هذه الأمة بأربعة في زمانهم، أحمد بن حنبل ويحيى بن معين والشافعي وأبو عبيد القاسم بن سلام، فأما أحمد بن حنبل فثبت في دين الله ولولا ذلك لارتد الناس، وأما يحيى بن معين فإنه نفى الكذب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأما الشافعي ففقه الناس في دين الله، وأما أبو عبيد ففسر الغريب من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم. (٢)

وقال أبو عبيد القاسم بن سلام: ربانيو الحديث أربعة، فأعلمهم بالحلال والحرام أحمد بن حنبل، وأحسنهم سياقة للحديث وأداء له علي بن المديني، وأحسنهم وضعا لكتاب ابن أبي شيبة، وأعلمهم بصحيح الحديث وسقيمه يحيى بن معين.(٣)

وقال أبو عبيد القاسم بن سلام: انتهى العلم إلى أربعة إلى أحمد بن حنبل وهو أفقههم فيه، وإلى علي بن المديني وهو أعلمهم به، وإلى يحيى بن معين وهو أكتبهم له، وإلى أبي بكر بن أبي شيبة وهو أحفظهم له .(٤)

وقال أبو بكر الخلال: ينبغي لأهل العلم أن يتخذوا للعلم المعرفة له والمذاكرة به، ومع ذلك كثرة السماع وتعاهده والنظر فيه، فقد كان أول من عني بهذا الشأن شعبة بن الحجاج، ثم كان بعده يحيى القطان وتعاهد الناس العلم بعد ذلك بتعاهدهما، ثم كان بعد هذين ثلاثة لم يكن لهم رابع أحمد بن حنبل ويحيى بن معين وعلي بن المديني.

---

(١) تاريخ بغداد (١٤ / ١٧٨).
(٢) تاريخ دمشق (٦٥ / ١٧).
(٣) تاريخ دمشق (٦٥ / ١٨).
(٤) الجرح والتعديل (١ / ٣١٩).

وقال أبو علي صالح بن محمد البغدادي: أعلم من أدركت بالحديث وعلله ابن المديني، وأفقهم بالحديث أحمد بن حنبل، وأعلمهم بتصحيف المشايخ ابن معين، وأحفظهم عند المذاكرة أبو بكر بن أبي شيبة .[١]

وقال الآجري: قلت لأبي داود أيهما أعلم بالرجال يحيى أو على بن عبد الله؟ قال: يحيى عالم بالرجال وليس عند علي من خبر أهل الشام شيء.[٢]

وقال عبد المؤمن بن خلف النسفي: سألت أبا على صالح بن محمد من أعلم بالحديث يحيى بن معين أم أحمد بن حنبل؟ فقال: أما أحمد فأعلم بالفقه والاختلاف، وأما يحيى فأعلم بالرجال والكنى.[٣]

وقال عبد الخالق بن منصور: قلت لابن الرومي سمعت بعض أصحاب الحديث يحدث بأحاديث يحيى ويقول: حدثني من لم تطلع الشمس على أكبر منه! فقال: وما تعجب؟! سمعت على بن المديني يقول: ما رأيت في الناس مثله.[٤]

ومن الثناء أن يصف أحمد السماع من ابن معين بالشفاء، قال عبد الخالق: فقلت لابن الرومي: حدثني أبو عمرو أنه سمع أحمد بن حنبل، يقول: السماع مع يحيى بن معين شفاء لما في الصدور.[٥]

وقال القواريري: قال لي يحيى بن القطان: ما قدم علينا مثل هذين الرجلين أحمد بن حنبل، ويحيى بن معين. [٦]

* *

(١) تهذيب الكمال (١٦ / ٤١).
(٢) تاريخ بغداد (١٤ / ١٨٢).
(٣) تاريخ بغداد (١٤ / ١٨٢).
(٤) تاريخ بغداد (١٤ / ١٨٢).
(٥) سير أعلام النبلاء (١١ / ٧٩).
(٦) تهذيب الكمال (٣١ / ٥٥٣).

المبحث الثالث

أسباب نبوغ منهج النقد عند ابن معين

وفيه عشرة مطالب :

المطلب الأول : التثبت في أخذ الحديث.

فالتثبت أحد أهم أسباب نبوغ منهج ابن معين في نقد الحديث، فقد كان كثيرا ما يتثبت من أحاديثه، وللتثبت عدة صور، **منها** أنه كان يخشى الخطأ في مروياته التي أخذها، فكان يسهر الليل في حفظه وتثبيته، حتى يطمئن أنه حفظه، قال يحيى: إني لأحدث بالحديث فأسهر له مخافة أن أكون قد أخطأت فيه.(١)

ومن صور التثبت أنه كان إذا شك في الحديث تركه، وكان يصف هذا الأسبوع بالسماحة، ومن لم يكن سمحا فإنه لا يسلم من الخطأ، قال يحيى بن معين: من لم يكن سمحا في الحديث كان كذابا. قيل له: وكيف يكون سمحا؟ قال: إذا شك في حديث ما تركه.(٢)

ومن صور التثبت كذلك أنه كان ينقص في الحديث إذا خشي الخطأ، قال يحيى بن معين: إذا خفت أن تخطئ في الحديث فانقص منه ولا تزد.(٣)

ومن صور التثبت كذلك أنه كان يوقف الشيخ على مروياته ويتأكد إن كان سمعها من شيوخه أم لم يسمعها، ومنهج إيقاف الشيوخ معروف عند المتقدمين، قال يحيى بن معين: رأيت عبد الرزاق بمكة يحدث فقلت له: هذه الأحاديث سمعتها فقال: وهذا عليك بعض سمعنا وبعض عرضنا وبعض شيء ذكره وكل سماع.(٤)

---

(١) تاريخ بغداد (١٨٤/١٤).

(٢) الكامل لابن عدي (١٢٣/١).

(٣) الكفاية ص ١٨٩ .

(٤) العلل ومعرفة الرجال لأحمد (٢ / ٦٠٦ . رقم ٣٨٨١).

ومن تثبته في أخذه للحديث: الأخذ من أصول الشيوخ.

قال المعلمي: فأما من بعدهم فكان المتثبتون لا يكادون يسمعون من الرجل إلا من أصل كتابه. كان عبد الرزاق الصنعاني ثقة حافظاً، ومع ذلك لم يسمع منه أحمد بن حنبل ويحيى بن معين إلا من أصل كتابه.(١)

وهكذا كان منهج ابن معين في تحمله للحديث، يأخذ من أصول شيوخه، خاصة الذين تكلم في حفظهم، ولا يقبل الكتابة عنهم من غير كتاب، ولو حملهم ذلك على الغضب، قال أبو علي بن أبي الخناجر: كنا على باب محمد بن مصعب، فأتاه يحيى بن معين ونحن حضور، فقال له: يا أبا الحسن أخرج إلينا كتابا من كتبك. فقال له: عليك بأفلح الصيدلاني، فقام غضبان، فقال له: لا ارتفعت لك راية معي أبدا. قال له محمد بن مصعب: إن لم ترتفع إلا بك فلا رفعها الله.(٢)

قال ابن معين: ما كتبت عن عبد الرزاق حديثا واحدا إلا من كتابه كله.(٣)

وقال أيضا: ما كتبت عن عبد الرزاق حديثا قط إلا من كتابه لا والله ما كتبت عنه حديثا قط إلا من كتابه.(٤)

ومما يؤكد هذا المنهج عند ابن معين، قوله: قال لي عبد الرزاق: اكتب عني حديثا واحدا من غير كتاب، قلت: لا، ولا حرف.(٥)

وهكذا كان يصنع أحمد وابن معين مع شيوخهم. قال المنذر بن شاذان: ما أدركت أحدا أحفظ من زكريا بن عدي، جاءه أحمد بن حنبل ويحيى بن معين فقالا له: تخرج إلينا كتاب عبيد الله بن عمرو فقال: ما تصنعون بالكتاب؟ خذوه

---

(١) الأنوار الكاشفة (ص ٨٠).

(٢) تاريخ بغداد (٣ / ٣٧٧).

(٣) العلل ومعرفة الرجال (٢ / ٦٠٦ . رقم ٣٨٨٢).

(٤) العلل ومعرفة الرجال (٣ / ١٥ . رقم ٣٩٤٠).

(٥) سير أعلام النبلاء (٩ / ٥٦٨).

حتى أملي عليكم كله، وكان يحدث عن عدة من أصحاب الأعمش فيميز ألفاظهم.(١)

ومن صور تثبته في أخذ الحديث، عدم الأخذ من الشيخ الذي لا يحفظ حديثه.

قال عبد الله بن أحمد: سألت يحيى بن معين قلت: رجل ضرير البصر وسميت رجلا وهو يحفظ أحاديث وأحاديث لا يحفظها؟ قال: لا تكتب إلا ما يحفظ – يعني الذي ليس يحفظ ليس بشيء–، فعاودته فقال: ليس بشيء فقلت: إن أخذته من رجل ثقة ثم أسأله؟ فقال: ليس بشيء.(٢)

ومن تثبته أيضا في الأخذ عن الشيوخ، أنه لا يقبل الأخذ في الإملاء إلا من الشيخ نفسه، فلو أملى بعض التلاميذ من كتاب الشيخ فإن ابن معين يرده، وهذا من شدة تحريه في الأخذ عن الشيوخ، لأن الخطأ في الإملاء يرد من التلاميذ أكثر من الشيخ نفسه.

قال الدوري: سمعت يحيى يقول وذكر عنده إسماعيل بن عياش فقال يحيى: كان إسماعيل بن عياش يقعد ومعه ثلاثة أو أربعة، فيقرأ كتابا وهم معه والناس مجتمعون، ثم يلقيه إليهم فيكتبونه جميعا ولم ينظر في الكتاب إلا أولئك الثلاثة أو الأربعة، سمعت يحيى يقول: شهدت إسماعيل بن عياش وهو يحدث هكذا، فلم أكن آخذ منه شيئا، ولكني شهدته يملي إملاء فكتبت عنه.(٣)

* *

(١) الجرح والتعديل (٣ / ٦٠٠).
(٢) العلل ومعرفة الرجال (٣ / ٢٥ . رقم٣٩٩٠).
(٣) تاريخ ابن معين (رقم ٤٩٠١).

وقال عبد الله المخزومي: كنت عند سفيان، وعنده ابن معين، فجاءه ابن وهب بجزء، فقال: يا أبا محمد، أحدث بما فيه عنك؟ فقال له ابن معين: يا شيخ، هذا والريح سواء، ادفع الجزء إليه حتى ننظر في حديثه.(١)

ومن تثبته أيضا، أنه لا يقبل عن الشيخ ما حدث به تلقينا، لكون التلقين تحصل به الأخطاء.

قال محمد بن يحيى الخزاز السوسي: سألت يحيى بن معين عن سويد بن سعيد؟ فقال: ما حدثك فاكتب عنه، وما حدث به تلقينا فلا.(٢)

ومن تثبته أيضا، أنه ربما يعرض على الشيخ نفسه مروياته عن شيوخه، ليتثبت ويوقفه على كل حديث أخذه من شيوخه.

قال الزعفراني: رأيت يحيى بن معين يعرض على عفان ما سمعه من يحيى بن سعيد القطان.(٣)

ومن تثبته أيضا، أنه كان يرفع صوته إذا اسمتلى شيوخه، حتى يسمع الشيخ ما أملاه جيدا، ويصحح الخطأ إن وجد، قال عبد الله بن أحمد: سمعت أبي يقول: كان يحيى بن معين يستملي لعمر بن هارون، فكان يقول: يا أبا حفص وابن جريج عن عطاء ويرفع صوته، وحكاه أبي ورفع صوته وجهر بصوته.(٤)

المطلب الثاني : تركه حديث الضعفاء.

كان ابن معين إذا تبين له ضعف الراوي ترك كتابة حديثه، فهو لا يتحمل عن الضعفاء إلا من احتاج إلى كتابة حديثه فيحفظه، ليبين خطأه كما بيناه في مطلب كثرة كتابته.

---

(١) سير أعلام النبلاء (٩ / ٢٣١).

(٢) تهذيب التهذيب (٤ / ٢٧٣).

(٣) تهذيب الكمال (١٧١/٢٠).

(٤) العلل ومعرفة الرجال لأحمد (٢ / ٣٤٦ . رقم ٢٥٣٣).

قال عبد الله بن أحمد: قال أبي: كنا نختلف إلى بهز بن أسد أنا ويحيى بن معين، وعلي بن المديني، وكان الذي ينتقي علي، وكان بهز يخرج إلينا حديثه في غناديق وكراريس، فأخرج يوما غنداقا أو كراسة، في أولها عن حماد بن سلمة، وفي آخرها عن عبدالله بن جعفر، فلما رأى يحيى بن معين الفصل تطاول، ولمحته فعرفت ما يريد فنكست حتى مر الرجل، فلما انقضى حديث حماد، قال يحيى: يا أبا الحسن تجاوزها تجاوزها، فوضع الغنداق أو الكراسة من يده، وأخذ شيئا آخر ينظر فيه. قال عبدالله: قال أبي: ولحقني من ذلك حشمة، فلما قمنا، أقبلت على يحيى بن معين، فقلت: يا أبا زكريا، أين الرجل، وما كان يضرنا أن نكتب منها خمسة أحاديث أو ستة، فقال: ما كنت أكتب من حديثه شيئا بعد أن تبينت أمره.(١)

وقال ابن أبي حاتم: وسألتُ أبا زُرعة عَن حدِيثٍ ؛ رواهُ إِسماعِيلُ بنُ إِبراهِيم بنِ بسّامٍ التُّرجُمانِيُّ عن سعِيدِ بنِ عَبدِ الرّحمنِ الجُمحِيِّ عن عُبيدِ اللهِ عن نافِعٍ عنِ ابنِ عُمر عنِ النّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قال: من نسِي صلاةً فلم يذكُرها إِلاَّ وهُو مع الإِمامِ ، فليُصلِّ مع الإِمامِ ، فإِذا فرغ مِن صلاتِهِ فليُعِدِ الصّلاة الّتِي نسِي ، ثُمّ لِيُعِدِ الصّلاة الّتِي صلّى مع الإِمامِ.

قال أبُو زُرعة : هذا خطأٌ ، رواهُ مالِكٌ عن نافِعٍ عنِ ابنِ عُمر موقُوفا وهُو الصّحِيحُ.

وأُخبِرتُ أنَّ يحيى بن معِينٍ انتخب على إِسماعِيل بنِ إِبراهِيم ، فلمّا بلغ هذا الحدِيث جاوزهُ ، فقِيل لهُ : كيف لا تكتُب هذا الحدِيث ؟ فقال يحيى: فعل الله بِي إِن كتبتُ هذا الحدِيث.(٢)

---

(١) الضعفاء العقيلي (٧٩٢).

(٢) علل الحديث لابن أبي حاتم (١٧٢/٢).

المطلب الثالث : تجرده وإنصافه في الجرح.

كان منهج ابن معين في الجرح –مع تشدده– لا يخضع لهوى، ولا يقصد به الشهرة أو التحامل، بل كان يحب الستر والنصح قبل كل شيء، متجردا عن أي أمر دنيوي يحمله على الجرح والطعن في الرواة، لذلك كان لأحكامه منزلة واعتبار مهم عند العلماء.

قال هارون بن بشير الرازي: رأيت يحيى بن معين استقبل القبلة رافعا يديه يقول : اللهم إن كنت تكلمت في رجل و ليس هو عندي كذابا فلا تغفر لي[١].

قال عبد الخالق بن منصور: قلت لابن الرومي سمعت أبا سعيد الحداد يقول: الناس كلهم عيال على يحيى بن معين فقال: صدق، ما في الدنيا أحد مثله سبق الناس إلى هذا الباب الذي هو فيه لم يسبقه إليه أحد، وأما من يجيء بعد فلا ندري كيف يكون؟ قال: وسمعت ابن الرومي يقول ما رأيت أحدا قط يقول الحق في المشايخ غير يحيى وغيره كان يتحامل بالقول.[٢]

قال ابن معين: أخطأ عفان في نيف وعشرين حديثا ما أعلمت بها أحدا وأعلمته فيما بيني وبينه، ولقد طلب إليَّ خلف بن سالم فقال: قل لي أي شيء هي؟ فما قلت له وكان يحب أن يجد عليه.[٣]

وقال يحيى: ما رأيت على رجل قط خطأ إلا سترته وأحببت أن أزين أمره، وما استقبلت رجلا في وجهه بأمر يكرهه، ولكن أبين له خطأه فيما بيني وبينه، فإن قبل ذلك وإلا تركته.[٤]

وكان من إنصافه دفاعه عن الرواة الذين جرحوا بما ليس فيهم، فكان يرد على الجارح جرحه ويبطله، ويبن الحق في حال الراوي المجروح، قال ابن معين:

---

(١) تهذيب الكمال (٣١/٥٥٤).

(٢) تاريخ بغداد (١٤/١٨٣).

(٣) المصدر السابق.

(٤) المصدر السابق.

رأيت عند مروان بن معاوية لوحاً فيه أحاديث مكتوبة، وفيه أسامي الشيوخ فلان رافضي وفلان كذا، فمر باسم وكيع فإذا هو يقول: وكيع رافضي. فقلت لمروان: وكيع خير منك. فقال لي مروان: خير مني؟! قلت: نعم. فقيل لي: فما قال لك شيئا؟. قال: لو قال لي شيئاً وثب أصحاب الحديث فضربوه.(١)

وكان جرحه للرواة إنما يراد منه حماية جناب السنة من الغلط والكذب، وإلا فقد يكون فيهم من هو أهل الخير والصلاح، ولكن صلاحه لا يعني ترك جرحه وبيان غلطه، ولذلك كان ابن معين يقول: إنا لنطعن على أقوام لعلهم قد حطوا رحالهم في الجنة من أكثر من مئتي سنة.

قال ابن مهرويه: فدخلت على ابن أبي حاتم، وهو يقرأ على الناس كتاب "الجرح والتعديل "، فحدثته بهذه الحكاية، فبكى وارتعدت يداه حتى سقط الكتاب من يده، وجعل يبكي، ويستعيدني الحكاية، أو كما قال.(٢)

ولذلك قد يعرض ابن معين في جرح الراوي لظهور صلاحه ولا يصرح بذلك، قال عثمان بن سعيد: سألت يحيى بن معين قال قلت: عبد الله بن السرى من هو؟ قال: هو رجل. قال أبو محمد: كان عبد الله بن السري رجلا صالحا، فأحسب يحيى حاد عن ذكره من أجل ذلك. (٣)

وكان من إنصافه في الجرح والتعديل، أنه يستفيد من أقوال أهل العلم في الرواة الذين عرفوهم وحكموا عليهم، خاصة إذا كان الشيخ من نفس بلد الراوي الذي حكم عليه ذلك الشيخ، قال إبراهيم بن مسعود الهمداني: سمعت أحمد بن حنبل يقول: محمد بن عبد الله بن نمير درة العراق نا عبدالرحمن نا على بن

---

(١) المعرفة والتاريخ للفسوي (٣ / ١٣١).

(٢) سير أعلام النبلاء (١١ / ٩٥).

(٣) الجرح والتعديل (٥ / ٧٨).

الحسين بن الجنيد قال كان أحمد بن حنبل ويحيى بن معين يقولان في شيوخ الكوفيين ما يقول ابن نمير فيهم.[١]

وربما جرح الراوي بسبب سوء فعله أو معتقده في الصحابة رضي الله عنهم، قال أبو بكر بن أبى خيثمة: سألت يحيى بن معين عن عمر بن سعد أثقة هو؟ فقال: كيف يكون من قتل الحسين بن علي رضي الله عنه ثقة.[٢]

وكان من علامة الجرح في الراوي، بغضه لابن معين أو وقوعه فيه، لأن البغض لمثل يحيى – مع تجرده– لا يكون إلا بسبب حكمه على ذلك الراوي ليبين أمره فيترك، قال أبو حاتم الرازي: إذا رأيت البغدادي يحب أحمد بن حنبل فاعلم أنه صاحب سنة وإذا رأيته يبغض يحيى بن معين فاعلم أنه كذاب. [٣]

وقال محمد بن هارون الفلاس: إذا رأيت الرجل يقع فى يحيى بن معين فاعلم أنه كذاب يضع الحديث، و إنما يبغضه لما يبين من أمر الكذابين.[٤]

ولا يعني هذا أن الخطأ القليل يسقط الراوي عند ابن معين، بل هو نفسه يقرر أن الخطأ أمر فطري لا يسلم منه أحد من الناس، ولذلك قال: من لم يخطئ فهو كذاب. [٥]

وقال أيضا: لست أعجب ممن يحدث فيخطئ ، وإنما أعجب ممن يحدث فيصيب!.[٦]

وهذا من إنصافه وتجرده في الجرح الذي إذا صدر منه في حق الرواة، فإنما يصدر منه لكثرة الخطأ من ذلك الراوي المجروح.

---

(١) الجرح والتعديل (٧ / ٣٠٧).
(٢) الجرح والتعديل (٦ / ١١١).
(٣) تاريخ بغداد (١٤/١٨٨).
(٤) الجرح والتعديل لابن أبي حاتم (٢/٦٨).
(٥) شرح العلل لابن رجب (١/٩٤).
(٦) المصدر السابق.

وكان يعلم يقينا أن الذي يكذب في الحديث، لابد أن يأتي له يوم يفضح فيه أمره ويهتك ستره، ولذلك كان يحذر من الكذب، قال ابن محرز: وسألته عن العباس بن الفضل الأنصاري الواقفي قلت: كيف كان؟ قال: لم يكن بثقة. قلت: قال: وضع حديثا لهارون -يعنى الرشيد- عن قتادة عن جابر بن زيد عن ابن عباس في الأمراء، لم يكن به بأس ولولا أنه وضع هذا الحديث، ولو أن رجلا هم في الحديث بكذب لهتك الله ستره.(١)

ولأجل هذا التجرد والإنصاف من ابن معين، كان من قرائن تعديل الراوي وقبول مروياته، كتابة ابن معين لكتبه، وهذا يدل على مكانة ابن معين عند أهل الحديث، قال أحمد بن علي القاضي: كنت تركت حديث إسحاق بن أبى إسرائيل، فقال لي حبيش بن مبشر: لا تفعل، فإني رأيت مع يحيى بن معين جزءا، فقلت له: يا أبا زكريا كتبت عن إسحاق بن أبي إسرائيل؟ فقال: كتبت عنه سبعة وعشرين جزءا قبل هذا. (٢)

وهذا التجرد من ابن معين كان أحد أهم أسبابه هو تقوى الله وخشيته من حساب الآخرة، قال الخطيب : أخبرنا محمد بن أحمد بن رزق قال أنبأنا إسماعيل بن علي الخطبي قال نبأنا أبو علي الحسين بن فهم قال حدثني يحيى بن معين قال نبأنا الوركاني محمد بن جعفر قال: سمعت فضيلا يقول: ينادي مناد يوم القيامة أين الذين أكلت عيالاتهم أماناتهم؟ قال أبو علي: ورأيت يحيى يبكي عند هذا.(٣)

---

(١) معرفة الرجال لابن معين رواية ابن محرز (٥٩/١).

(٢) تاريخ بغداد (٣٦٥/٦).

(٣) تاريخ بغداد (٢ / ١١٦).

المطلب الرابع : ترك السماع من الشيخ إن بلغه حديثه الضعيف عن الأثبات.

كان ابن معين يترك السماع من الراوي حتى لو لم يسمع منه، فإذا بلغه بعض مرويات الراوي من الثقات الأثبات واستنكرها، فإنه يترك السماع من الراوي ولا يتكلف عناء الذهاب إليه، وذلك لظهور ضعفه وتبين حاله عند ابن معين.

قال زكريا بن يحيى الحلواني: حدثنا أحمد بن سعيد بن أبي مريم قال ذاكرت يحيى بن معين يوما وهو بمصر عن أبي مودود عن سليمان بن يسار قال: مرضت فعادني ابن عمر في يوم مهين. قال أحمد: فأعجب يحيى هذا الحديث وقال لي: أفدنيه عمن كتبته؟ قال: فصرت معه إلى عبد المنعم، فسأله يحيى أن يخرج له أصل كتابه فاعتل عليه في ذلك الوقت، ووعده مخرجه بالعشي قال أحمد: فلما اجتمعنا للمسير إليه بالعشي ذكرت ليحيى بن معين حديث ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قضى باليمين مع الشاهد، فقال لي يحيى: ما خلق الله من هذا شيئا، قلت: إنه عبد الله بن عمر العمري، قال: ليس يحتمل هذا كله، من حدثك به؟ قلت: هذا الشيخ الذي تريده –أعني عبد المنعم– قال: كفيتنا المؤنة ارجعوا بنا، فرجع ولم يكتب عنه. قال أبو يحيى: قيل لأبي جعفر أحمد بن سعيد: سمعت هذا من هذا الشيخ عن العمري؟ قال: نعم. وأبى أحمد أن يحدثنا عن هذا الشيخ، وقال: لا أحدث عنه. فقلنا له: إنما نريد أن نعلم أنه ضعيف فحدثنا عند ذلك.[1]

المطلب الخامس : نقد مرويات الشيوخ وتصحيح الخطأ فيها.

كان ابن معين لا يجامل في الحديث أحدا، حتى شيوخه إذا بلغه من حديثهم ما فيه خطأ، فإنه يستدرك ذلك على الشيخ ويصحح له خطأه ولو أغضبه ذلك، وكان ذلك مما يعلي شأنه عندهم، وقد شهد له شيوخه برسوخ قدمه في نقده وتصحيحه.

---

(١) الضعفاء للعقيلي (٥/ ٣٥٨).

قال زهير بن حرب: لما قدمنا صنعاء أغلق عبد الرزاق الباب ولم يفتحه لأحد إلا لأحمد بن حنبل لديانته، فدخل فحدثه بخمسة وعشرين حديثا، ويحيى بن معين بين الناس جالس، فلما خرج قال له يحيى: أرني ما حدثك، فنظر فيه فخطأه في ثمانية عشر حديثا، فعاد أحمد إلى عبد الرزاق فأراه مواضع الخطأ، فأخرج عبد الرزاق أصوله فوجدها كما قال يحيى، ففتح الباب وقال: ادخلوا، وأخذ مفتاح بيت وسلمه إلى أحمد وقال: هذا البيت ما دخلته يد غيري منذ ثمانين سنة أسلمه إليكم بأمانة الله، على أنكم لا تقولون ما لم أقل ولا تدخلوا علي حديثا من حديث غيري، ثم أومأ إلى أحمد وقال: أنت أمين الله على نفسك وعليهم، فأقاموا عنده حولا.(١)

وقال المروذي: قال أبو عبد الله: كنت مع يحيى بن معين فلقي أبا بدر. فقال له: اتق الله يا شيخ، وانظر هذه الأحاديث، لا يكون ابنك يعطيك قال أبو عبد الله: فاستحييت وتنحيت ناحية، فبلغني أنه قال: إن كنت كاذباً ففعل الله بك وفعل.(٢)

قال سليمان بن حرب: كان يحيى بن معين يقول في الحديث: هذا خطأ، فأقول: كيف صوابه؟ فلا أدري فأنظر في الأصل فأجده كما قال .(٣)

قال يحيى بن معين: حضرتُ نعيم بن حماد بمصر، فجعل يقرأ كتاباً صنَّفه. فقال: حدثنا ابن المبارك عن ابن عون وذكر أحاديث. فقلت: ليس ذا عن ابن المبارك. فغضب وقال: ترد عليَّ ؟! قلت: إي والله!؛ أريد زَيْنَك. فأبى أن يرجع. فلما رأيته لا يرجع قلت: لا ! والله ما سمعت هذه من ابن المبارك، ولا سمعها هو من ابن عون قط ! فغضب وغضب من كان عنده، وقام فدخل؛ فأخرج

(١) الوافي بالوفيات للصفدي (١٨ / ٢٤٥).
(٢) العلل ومعرفة الرجال لأحمد رواية المروذي (ص ١٣٥- رقم ٢٣٧).
(٣) الجرح والتعديل (١ / ٣١٤).

صحائف، فجعل يقول وهي بيده: أين الذين يزعمون أن يحيى بن معين ليس بأمير المؤمنين في الحديث؟! نعم يا أبا زكريا غَلِطتُ، وإنما روى هذه الأحاديث غير ابن المبارك عن ابن عون، فرجع عنها.(١)

قال هاشم بن مرثد الطبراني : قيل ليحيى بن معين وأنا أسمع : حديث رواه نعيم بن حماد عن ابن المبارك عن ابن عون عن محمد بن سيرين عن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إذا اغْتَلَمَتْ آنيتُكُم ، فاكسروها بالماء" فقال يحيى بن معين: قال لي نعيم: سمعته من ابن المبارك؛ فقلت كَذِبٌ. فقال لي: اتق الله ! فقلت: كذب والله الذي لا إله إلا هو. فذهب ثم لقيني بعد فقال: ما وجدت له عندي أصلاً ؛ فرجع عنه.(٢)

ولذلك كان ابن معين يذم الشيخ الذي لا يضبط كتابه، ويقبل تلقين الرواة له، حتى وإن كان أول حاله مرضيا عنده، فلا يمنع ذلك ابن معين من جرحه وتراجعه عن تعديله إذا تبين له خلاف ما كان يعرفه عن ذلك الشيخ، قال ابن أبي حاتم: سمعت أبى يقول: سألني يحيى بن معين عن ابن حميد من قبل أن يظهر منه ما ظهر فقال: أي شيء تنقمون عليه؟ فقلت: يكون في كتابه الشيء فنقول: ليس هذا هكذا، إنما هو كذا وكذا، فيأخذ القلم فيغيره على ما نقول. قال: بئس هذه الخصلة، قدم علينا بغداد فأخذنا منه كتاب يعقوب القمي، ففرقنا الأوراق بيننا ومعنا أحمد بن حنبل فسمعناه ولم نر إلا خيرا.(٣)

بل كان ابن معين إذا شك في حديث الشيخ، ربما أخذ منه كتابه بالقوة حتى يتأكد من صحة سماعه، كل هذا حماية منه للسنة ولو أغضب ذلك الشيخ، يوضح ذلك أنه ذكر نصر بن باب عند يحيى بن معين مرة فقال: كذاب خبيث

---

(١) تاريخ دمشق (٦٢ / ١٦٦).

(٢) تاريخ هاشم بن مرثد الطبراني عن ابن معين (ص ١١ – رقم ٦).

(٣) الجرح والتعديل (٧ / ٢٣٢).

عدو لله، ذهبت إليه أنا وابن الحجاج بن أرطاة فأخرج إلينا كتبا كان فيها كتاب عوف، فجعل يحدثنا فطوى رأس الكتاب فاستربت به، فقلت: ناولني الكتاب وظننت أنه قد خنس عنا بعض الأحاديث، فأبى أن يعطيني فوثبت عليه فأخذت الكتاب منه فنظرت فيه، وكان يحدث عن عوف فإذا أوله بسم الله الرحمن الرحيم حدثني نوح بن أبى مريم أبو عصمة الخراساني عن عوف، فطرحت الكتاب من يدي وقمت وتركناه، فقلت له: كيف هذا؟ فقال:هاه، كتبتها عن أبى عصمة ثم سمعتها بعد، فقمنا وتركناه.(١)

ومن ثبات منهجيته في الجرح، أنه يجرح الراوي الكذاب ولا يعتبر بمن أخذ عنه الحديث ولو كانوا أئمة، قال ابن محرز: وسمعت يحيى بن معين وذكر إبراهيم بن أبى الليث فذكر منه شيئا لم أحفظه، فقلت: يا أبا زكريا أن أحمد بن حنبل يختلف إليه ويكتب عنه، قال: لو اختلف إليه ثمانون كلهم مثل منصور بن المعتمر ما كان إلا كذابا.(٢)

لأجل ذلك كان الأئمة كالإمام أحمد وغيره، يجلونه ويعتدون بأقواله في الرجال.

قال عباس بن محمد: رأيت أحمد بن حنبل بين يدي يحيى ين معين جائيا وهو يقول: يا أبا زكريا ما تقول في فلان ؟.(٣)

وقال عبد الرحمن بن أبى حاتم عن عباس بن محمد الدوري : رأيت أحمد بن حنبل يسأل يحيى بن معين عند روح بن عبادة من فلان ؟ ما اسم فلان ؟. (٤)

---

(١) معرفة الرجال لابن معين رواية ابن محرز (٥٦/١).

(٢) معرفة الرجال لابن معين رواية ابن محرز (٩٤/١).

(٣) المجروحين (١ / ٥٦).

(٤) الجرح والتعديل لابن أبي حاتم (٢ / ٦٧).

المطلب السادس : التحليل النقدي للمرويات بالمقارنة.

فلم يكتف يحيى بن معين بحفظ الحديث وكتابته فقط، بل كان يعقب ذلك تحليل نقدي ومنهجي للمرويات، بمعارضتها بمرويات الثقات، الأمر الذي ينتج عنه بيانات واضحة في صواب الراوي من خطئه، ومن ثم الحكم عليه بما يناسبه، وهذا الأمر تميز به ابن معين، فكانت له الإمامة في الحكم على الرواة، بل لا نبالغ إن قلنا إن الرواة لا تقر أعينهم حتى يجتازوا قنطرة ابن معين في الحكم عليهم، فقد كانوا يسألونه عن أحاديثهم ليتعرفوا على درجة قبولهم.

قال ابن معين: قال لي إسماعيل بن عُليَّة يوماً: كيف حديثي؟ قلت: أنت مستقيم الحديث. فقال لي: وكيف علمتم ذاك؟ قلت له: عارضنا بها أحاديث الناس، فرأيناها مستقيمة. فقال: الحمد لله، فلم يزل يقول: الحمد لله، ويحمد ربه حتى دخل دار بشر بن معروف أو قال: دار البختري وأنا معه.(١)

المطلب السابع: تتبع المحدثين واختبارهم.

كان ابن معين يتتبع المحدثين ويختبر حفظهم ويقلب عليهم أحاديثهم، ليتأكد من حفظهم وتطمئن نفسه لتحمل حديثهم .

فمن أمثلة تتبعه لحديث الراوي ما ذكره ابن أبي حاتم قال: سألت أبي عن محمد بن عمر الواقدي المديني فقال: متروك الحديث. قال يحيى بن معين: نظرنا في حديث الواقدي فوجدنا حديثه عن المدنيين عن شيوخ مجهولين أحاديث مناكير، فقلنا: يحتمل أن تكون تلك الأحاديث المناكير منه ويحتمل أن تكون منهم، ثم نظرنا إلى حديثه عن ابن أبي ذئب ومعمر فإنه يضبط حديثهم، فوجدناه قد حدث عنهما بالمناكير فعلمنا أنه منه فتركنا حديثه.(٢)

---

(١) تاريخ ابن معين برواية ابن محرز (٣٩/٢).

(٢) الجرح والتعديل (٨ / ٢١).

ومن أمثلة اختباره للشيوخ ما قاله أحمد بن منصور الرمادي: خرجت مع أحمد ويحيى إلى عبدالرزاق أخدمهما، فلما عدنا إلى الكوفة قال يحيى لأحمد: أريد أختبر أبا نعيم؟ فقال له أحمد: لا تزيد الرجل إلا ثقة، فقال يحيى: لابد لي فأخذ ورقة وكتب فيها ثلاثين حديثا من حديث أبي نعيم، وجعل على رأس كل عشرة منها حديثا ليس من حديثه، ثم جاءوا إلى أبي نعيم فخرج فجلس على دكان، فأخرج يحيى الطبق فقرأ عليه عشرة ثم قرأ الحادي عشر، فقال أبو نعيم: ليس من حديثي اضرب عليه، ثم قرأ العشر الثاني وأبو نعيم ساكت، فقرأ الحديث الثاني فقال: ليس من حديثي اضرب عليه، ثم قرأ العشر الثالث وقرأ الحديث الثالث فانقلبت عيناه وأقبل على يحيى فقال: أما هذا وذراع أحمد في يده فأورع من أن يعمل هذا، وأما هذا يريدني فأقل من أن يعمل هذا، ولكن هذا من فعلك يا فاعل ثم أخرج رجله فرفسه فرمى به وقام فدخل داره، فقال أحمد ليحيى: ألم أقل لك إنه ثبت قال: والله لرفسته أحب إليَّ من سفرتي.[1]

المطلب الثامن : اهتمامه بالاطلاع على أصول شيوخه، وأثر هيبته في ذلك.

لما وهب الله ابن معين الملكة الفذة لنقد مرويات الشيوخ دون مجاملة، هذا الأمر جعل له هيبة عظيمة عند شيوخه ومكانة جليلة، فبمجرد معرفة الشيخ بحضور ابن معين لمجلس السماع، فإنه يحسب لجلوسه ألف حساب، وهذه الهيبة سببها قوة حفظه ونقده واستحضاره للحديث متى أراد، ولأجل ذلك كان الشيوخ لا يمانعون بتسليمه لأصولهم، للنظر فيها ونقدها.

قال عباس الدوري عن ابن معين: ما جلست إلى شيخ إلا هابني أو عرف لي ما خلا هذا التبوذكي.[2]

---

(١) تاريخ بغداد (٣٤٩/١٢).

(٢) تهذيب التهذيب (١٠ /٣٣٤).

قال هارون بن معروف: قدم علينا بعض الشيوخ من الشام وكنت أول من بكر عليه، فدخلت عليه فسألته أن يملي عليَّ شيئا، فأخذ الكتاب يملي عليَّ فإذا بإنسان يدق الباب، فقال الشيخ: من هذا؟ قال: أحمد بن حنبل، فأذن له والشيخ على حالته والكتاب في يده لا يتحرك، فإذا بآخر يدق الباب فقال الشيخ: من هذا؟ قال: أحمد الدورقي، فأذن له والشيخ على حالته والكتاب في يده لا يتحرك، فإذا بآخر يدق الباب، فقال الشيخ: من هذا؟ قال: عبد الله بن الرومي، فأذن له والشيخ على حالته والكتاب في يده لا يتحرك، فإذا بآخر يدق الباب، فقال الشيخ: من هذا؟ قال: أبو خيثمة زهير بن حرب، فأذن له والشيخ على حالته والكتاب في يده لا يتحرك، فإذا بآخر يدق الباب فقال الشيخ: من هذا؟ قال: يحيى بن معين، قال فرأيت الشيخ ارتعدت يده وسقط الكتاب من يده.(١)

وأيضا كان بعض شيوخه يجلونه ولا يتركون له حاجة في السماع والنظر في أصولهم إلا أعطوه حاجته، وسهلوا عليه مراده.

قال أحمد بن أبي الحواري: ما رأيت أبا مسهر سهل لأحد من الناس سهولته ليحيى بن معين، ولقد قال يوما: هل بقي معك شيء؟.(٢)

وَقَالَ ابنُ مُحرز: سمعتُ يحيى بنَ معين يقولُ: كنتُ عند خَلَف البزّار، فقلتُ لهُ: هاتِ كتبك، فَجَبُنَ، فقلتُ: هاتِ رحمك الله، فجاءَ بها، فنظرتُ فيها، فرأيتُ أحاديثَ مستقيمةً صحاحاً، قيلَ لهُ: فكتبتُ عنه منها شيئاً؟ قالَ: نعم كتبتُ عنه أحدَ عَشَرَ حَدِيثاً.(٣)

---

(١) تاريخ بغداد (١٤ / ١٨٦).

(٢) الجرح والتعديل (١ / ٣١٤).

(٣) معرفة الرجال برواية ابن محرز (١٦١/٢).

المطلب التاسع: اغتباط الرواة بسماع ابن معين منهم وقبوله لحديثهم أو وقوفه على أصولهم .

كان بعض شيوخ ابن معين يفرح فرحا عظيما بقبول ابن معين لحديثه، لأنهم يعلمون أن قبول ابن معين لحديثهم يعني استقامته وصحته، فيكثرون الحمد لله على ذلك.

قَالَ جَعْفرُ الطيالسي عَنْ يحيى بنِ معين قَالَ: لما قَدِمَ عبدُالوهاب بنُ عطاء أتيته فكتبتُ عنه، فبينا أنا عنده إذ أتاه كتابٌ مِنْ أهلهِ مِنْ البصرة، فقرأهُ وأجابهم، فرأيته وقد كَتَبَ على ظهرهِ: وقدمتُ بغدادَ وقَبَلني يحيى بنُ معين، والحمدُ لله ربّ العالمين.(١)

بل كان بعض شيوخه يمار به أمام الناس، فقد كانوا يرون سماع ابن معين منهم مما يعلي شأنهم عند الناس. قال يحيى بن معين: دخلنا على غندر فقال: لا أحدثكم بشيء حتى تمشوا إلى السوق فيراكم الناس فيكرموني، فمشينا خلفه فجعل الناس يقولون: من هؤلاء يا أبا عبدالله ؟ فيقول: هؤلاء أصحاب الحديث جاءوني من بغداد يكتبون عني. (٢)

وكان بعض شيوخه يحتج بصحة كتابه، لكون ابن معين قد قرأه ووقف على ما فيه، وما كان هذا الأمر يصدر منهم إلا لإجلالهم له ومعرفتهم برسوخه، قال عبد الله بن أحمد بن حنبل: حضرت أبي يسمع من محمد بن جعفر الوركاني، فمر على حديث شريك عن سماك عن عكرمة أن النبي صلى الله عليه وسلم رجم يهوديا ويهودية. فقال أبي: يا أبا عمران إنما هذا عن شريك عن سماك عن جابر بن سمرة، فلعل شريكا سبقه لسانه فقال الوركاني: قد نظر يحيى بن معين في

(١) تاريخ بغداد (١٤ / ١٨٦).
(٢) تذكرة الحفاظ (١/٢٢٠).

هذا. فقال أبي: وما يدري يحيى بن معين؟ أو كل شيء يعرفه يحيى؟ اضرب عليه. فضرب عليه.[1]

المطلب العاشر : تتبعه للرواة المتهمين الذين يروون عنه المناكير، وإنكاره عليهم.

كان بعض الرواة المتهمين يتجارون باسم ابن معين عن طريق الرواية عنه بما لم يروه، فالقصاص مثلا في زمن ابن معين إذا أراد أحدهم ترويج القصص التي يرويها، يذكر أنه يرويها من طريق ابن معين، لعلمهم بقوة منهجه النقدي، وأن لذكر اسمه في الإسناد قوة، وهذا الأمر كان يجعل الناس تصدقهم وتسمع منهم، وبه كانوا يحصلون على لقمة عيشهم، وما كانوا ليفعلوا ذلك لولا علمهم بتميز ابن معين وتقدمه في زمانه، ومن طريف ما ذكر في هذا الباب ما ذكره جعفر بن محمد الطيالسي حيث قال: صلى أحمد بن حنبل ويحيى بن معين في مسجد الرصافة فقام بين أيديهم قاص فقال حدثنا أحمد بن حنبل ويحيى بن معين قالا نا عبد الرزاق أنا معمر عن قتادة عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من قال لا إله إلا الله يخلق من كل كلمة منها طير منقاره من ذهب وريشه من مرجان، وأخذ في قصة نحو من عشرين ورقة، فجعل أحمد ينظر إلى يحيى ويحيى ينظر إلى أحمد فيقول: أنت حدثته؟ فيقول: والله ما سمعت به إلا هذه الساعة! قال: فسكتا جميعا حتى فرغ من قصصه وأخذ قطاعه ثم قعد ينتظر بقيتها، فقال له يحيى بن معين بيده: أن تعال، فجاء متوهما لنوال يجيزه، فقال له يحيى: من حدثك بهذا الحديث؟ فقال: أحمد بن حنبل ويحيى بن معين! فقال: أنا يحيى بن معين وهذا أحمد بن حنبل! ما سمعنا بهذا قط في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم! فإن كان ولا بد والكذب فعلى غيرنا! فقال له: أنت يحيى بن معين؟ قال: نعم قال: لم أزل أسمع أن يحيى بن معين أحمق، ما علمته إلا

---

(١) تاريخ بغداد (٢ / ١١٦).

الساعة، فقال له يحيى: وكيف علمت أني أحمق؟ قال: كأنه ليس في الدنيا يحيى بن معين وأحمد بن حنبل غيركما؟! كتبت عن سبعة عشر أحمد بن حنبل ويحيى بن معين غيركما! قال: فوضع أحمد كمه على وجهه، فقال: دعه يقوم فقام كالمستهزئ بهما.(١)

* *

(١) تاريخ دمشق (٦٥ / ٢٠).

الخاتمة

وفي نهاية هذا البحث أذكر أهم النتائج التي توصلت إليها على النحو التالي:

لنبوغ ابن معين العلمي عدة أسباب من أهمها:

١-تخصصه العلمي في الحديث وعلومه.

٢-قوة حفظه وكثرة مذاكرته لمحفوظاته.

٣-بذله وكثرة إنفاقه على العلم.

٤-كثرة كتابته للحديث بيده وكثرة شيوخه.

٥-صبره وجلده على العلم.

٦-سعة علمه بشهادة شيوخه له.

وأسباب تميز منهجه النقدي، ما يلى :

١-تثبته في أخذ الحديث من مصادره.

٢-تركه أخذ حديث الضعفاء والمتروكين.

٣-تجرده وإنصافه في أحكامه.

٤-قوة التحليل النقدي لديه للروايات.

٥-اختباره للشيوخ وحرصه على الوقوف على أصولهم.

٦-تصحيح الأخطاء في روايات شيوخه.

والحمد لله، وصلى الله وسلم على النبي الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين.

فهرس المصادر والمراجع

- الإرشاد في معرفة علماء الحديث المؤلف: أبو يعلى الخليلي، خليل بن عبد الله بن أحمد بن إبراهيم بن الخليل القزويني (المتوفى: ٤٤٦هـ) المحقق: د. محمد سعيد عمر إدريس الناشر: مكتبة الرشد – الرياض الطبعة: الأولى، ١٤٠٩ .
- الأنوار الكاشفة لما في كتاب "أضواء على السنة" من الزلل والتضليل والمجازفة المؤلف: عبد الرحمن بن يحيى بن علي المعلمي اليماني (المتوفى: ١٣٨٦هـ) الناشر: المطبعة السلفية ومكتبتها / عالم الكتب – بيروت سنة النشر: ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦ م .
- الثقات المؤلف: محمد بن حبان بن أحمد بن حبان، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: ٣٥٤هـ) طبع بإعانة: وزارة المعارف للحكومة العالية الهندية تحت مراقبة: الدكتور محمد عبد المعيد خان مدير دائرة المعارف العثمانية الناشر: دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن الهند الطبعة: الأولى، ١٣٩٣هـ = ١٩٧٣م.
- الجامع في العلل ومعرفة الرجال لأحمد بن حنبل المؤلف: أبو عبد الله أحمد ابن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ) رواية: المروذي وغيره المحقق: الدكتور وصى الله بن محمد عباس الناشر: الدار السلفية، بومباى – الهند الطبعة: الأولى، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨م .
- الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، المؤلف: أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (المتوفى: ٤٦٣هـ)، المحقق: د. محمود الطحان، الناشر: مكتبة المعارف – الرياض.
- الجرح والتعديل، المؤلف: أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (المتوفى: ٣٢٧هـ) الناشر:

طبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية – بحيدر آباد الدكن – الهند١، دار إحياء التراث العربي – بيروت. الطبعة: الأولى، ١٢٧١ هـ ١٩٥٢م.

- الضعفاء الكبير. المؤلف: أبو جعفر محمد بن عمرو بن موسى بن حماد الْعُقَيْلِي المكي (المتوفى: ٣٢٢هـ).المحقق: عبد المعطي أمين قلعجي. الناشر: دار المكتبة العلمية – بيروت. الطبعة: الأولى، ١٤٠٤هـ – ١٩٨٤م.
- العلل لابن أبي حاتم المؤلف: أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (المتوفى: ٣٢٧هـ) تحقيق: فريق من الباحثين بإشراف وعناية د/ سعد بن عبد الله الحميد و د/ خالد بن عبد الرحمن الجريسي، الناشر:مطابع الحميضي الطبعة: الأولى، ١٤٢٧هـ – ٢٠٠٦ م.
- العلل ومعرفة الرجال.المؤلف: أحمد بن حنبل. تحقيق: وصي الله بن محمد ابن عباس. الرياض: دار الخاني. الطبعة الثانية. ١٤٢٢هـ. ٢٠٠١م.
- الكامل في ضعفاء الرجال. المؤلف: عبد الله بن عدي الجرجاني . قرأها ودققها على المخطوطات : يحيى عزاوي . دار الفكر. الطبعة الثالثة.
- الكفاية في علم الرواية. المؤلف: الخطيب البغدادي: أبو بكر أحمد بن علي. تحقيق: أحمد عمر هاشم. بيروت: دار الكتاب العربي. الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ ١٩٨٦.
- المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين المؤلف : محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى : ٣٥٤هـ) . دار الوعي– حلب ، الأولى ١٣٩٦هـ .

- المعرفة والتاريخ.المؤلف: يعقوب بن سفيان بن جوان الفارسي الفسوي، أبو يوسف (المتوفى: ٢٧٧هـ) المحقق: أكرم ضياء العمري . الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت . الطبعة: الثانية، ١٤٠١ هـ- ١٩٨١ م .
- الوافي بالوفيات المؤلف: صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي (المتوفى: ٧٦٤هـ) المحقق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى الناشر: دار إحياء التراث –بيروت عام النشر:١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م .
- تاريخ ابن معين (رواية عثمان الدارمي). المؤلف: أبو زكريا يحيى بن معين بن عون بن زياد بن بسطام بن عبد الرحمن المري بالولاء، البغدادي (المتوفى: ٢٣٣هـ). المحقق: د. أحمد محمد نور سيف. الناشر: دار المأمون للتراث – دمشق.
- تاريخ أبي زرعة الدمشقي المؤلف: عبد الرحمن بن عمرو بن عبد الله بن صفوان النصري المشهور بأبي زرعة الدمشقي الملقب بشيخ الشباب (المتوفى: ٢٨١هـ) رواية: أبي الميمون بن راشد دراسة وتحقيق: شكر الله نعمة الله القوجاني الناشر: مجمع اللغة العربية – دمشق .
- تاريخ بغداد . المؤلف: أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (المتوفى: ٤٦٣هـ). الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت. دراسة وتحقيق: مصطفى عبد القادر عطا. الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ .
- تاريخ دمشق المؤلف : ابن عساكر الطبعة: الأولى ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م دار الفكر، لبنان .
- تاريخ هاشم بن مرثد الطبراني عن يحيى بن معين المؤلف: هاشم بن مرثد الطبراني المتوفى: ٢٧٨هـ، المحقق: أبو عمر محمد بن علي الأزهري الناشر:

الفاروق الحديثة للطباعة والنشر – القاهرة الطبعة: الثانية، ١٤٣١ هـ – ٢٠١٠م.

- تذكرة الحفاظ تأليف: محمد بن أحمد بن عثمان الذهبى دراسة وتحقيق: زكريا عميرات الناشر: دار الكتب العلمية بيروت– لبنان الطبعة الأولى ١٤١٩هـ– ١٩٩٨م.

- تهذيب التهذيب المؤلف: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ) الناشر: مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند الطبعة: الطبعة الأولى، ١٣٢٦هـ.

- تهذيب الكمال في أسماء الرجال. المؤلف: أبو الحجاج يوسف المزي. حققه: بَشَّار عواد معروف. بيروت: مؤسسة الرسالة. الطبعة الأولى. ١٤٠٠هـ . ١٩٨٠م.

- سير أعلام النبلاء. المؤلف : شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى : ٧٤٨هـ). المحقق : مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط. الناشر : مؤسسة الرسالة. الطبعة: الثالثة ، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م.

- شرح علل الترمذي. المؤلف: ابن رجب. تحقيق: همام عبد الرحيم سعيد. الرياض: مكتبة الرشد. الطبعة الثانية. ١٤٢١هـ . ٢٠٠١م.

- علوم الحديث لابن الصلاح. حققها وآلف بينها وعلق عليها: طارق بن عوض الله محمد. دار ابن القيم ودار ابن عَفَّان. الطبعة الأولى. ١٤٢٩هـ . ٢٠٠٨م.

- معرفة الرجال عن يحيى بن معين وفيه عن علي بن المديني وأبي بكر بن أبي شيبة ومحمد بن عبد الله بن نمير وغيرهم، رواية أحمد بن محمد بن القاسم بن محرز. المؤلف: أبو زكريا يحيى بن معين بن عون بن زياد بن بسطام بن عبد

الرحمن المري بالولاء، البغدادي (المتوفى: ٢٣٣هـ) المحقق: الجزء الأول: محمد كامل القصار.الناشر: مجمع اللغة العربية – دمشق. الطبعة: الأولى، ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م.

* * *